

والناس يعبرون على الرصيف بسرعة .. يراهم يحملون اكياس الورق الملأى بالخضار .. وهناك يقف رجل بدين يمازح شرطيا وكرشه يهتز مع الضحكة .

اكتشف انه ينتظر .. يمد بصره الى نهاية الشارع ينتظر ان يرى مقدم التظاهرة : غلمان - سيراهم - يتراکضون الى الخلف واعينهم على الموكب ، يؤكدون بطريقتهم انهم يشاركون . ثم تتقدم سيارات المسالحين ، وبعدها حشد من الجماهير واليا فطاط . وهو هو لا يفعل غير ان ينتظر .. يعيد النظر في الصحيفة امامه ليتأكد من ان التظاهرة قادمة ، وان كفرشوبا ستأتي عروسا يهزجون في عرسها .

والساحة امامه تزخر بخليط من اناس لا يحصى .. عمال غادروا لتوهم اماكن عملهم مثقلين بالتعب .. ورعاع تستطيع ان تميزهم من حركاتهم واهتماماتهم : لاعب ( اللوكي بربع ) . ولاعب الكشاتييين وآخرون تستطيع ان تميزهم يسرحون بحرية .

وتسقط أنت في الكرسي .. تحلم بصبيبة تأتي فتجلس قبالتك لتمنح سقوطك طابعا هرويبا عطرا .. والنادل ما يزال يتكلف الرشاقة من حولك .. يبتسم باغراء ، وتعدده أنت بالعلو . أنت ابراهيم عبدالخالق المتحدر من صلب فلاح يحلم بتسديد ديونه ..

\* \*

- اسمك ؟ .

« ابراهيم عبدالخالق .. والدي فلاح يحلم بتسديد ديونه .. والدي كفت منذ مدة طويلة عن الحلم بأي شيء جديد وانما عامل سابق في المرفأ .. عميل تجاري حاليا .. متى ولدت ؟ .. قل اني توفيت ، واني احاول يسا سيدي اقناعك ببرائي مما نسب الي » .  
- قلت ما اسمك ؟ .

انتبه للسؤال جيدا ..

تفرس في الرجل ببلاهة .. وامام نظرات المأمور انهارت جميع قرارات الصمود .  
- ابراهيم ..

وبانفعال مفاجيء :

- اسمي مدون امامك في الهوية ..

وصفحه الرجل فجأة ..

انهارت بقية من صمود واسره القهر .. قرر ان يطلب اليه عدم ضربه ثانية .. ولكن لاحت الصفعة الثانية كامنة في عيني المأمور :

- ابراهيم عبدالخالق .. اسمي ابراهيم عبدالخالق .. ولكن يا حضرة المأمور ..  
- اسم والدتك ؟ .

## قصة بقلم ربيع ديب السقوط

ماذا تفعل حين يهدر الصوت في الشارع كدوي قنبلة لا ينقطع صداه ؟ .

تدخن بعصبية وتختبئ وراء الفنجان من عيني النادل .. ودفعة واحدة يتبخر في رأسك اللحم بصبيبة تأتي لتجلس قبالتك في الكافتيريا ، تتبادلان النظرات وبعدها تأتي لتجلس الى طاولتك .  
حين يهدر الصوت يتبخر كل شيء وتسقط أنت في الكرسي ..

نظر من خلال النافذة الزجاجية العريضة السى الشارع الممتد :

رجال الشرطة يتوزعون بانتظام على الارصفة وفوق الاسطح وفي ثيابك .. والنادل يغالي في التهذيب .. يحاول الا يحدث ضجيجا وهو يرفع كوب الماء .. لعله يحدس انك ما تزال تحلم بصبيبة تأتي وانك منذ قليل أفنيت اعصابك في الموازنة بين الرصيد والارباح ثم صفقت الباب حانقا واثبت .

سيارة الجيب تعبر متهادية ، تمتد منها ذراع تأمر فيتغير النظام المفروض على الارصفة .

وانت يوما حملت بتلك الذراع : ان تركز الانجم الضئيلة على كتفيك . وحين سخر الرفاق، رحت تبحث عن تبرير .. وحين شاهدت البنادق ترتفع في الساحة قرب البربير اقنعت ذاتك بانك لم تعد تحلم بالذراع التي تأمر ..

وكرت بعد ذلك الاسئلة والمأمور يكتب  
.. وهو تثبت بسترته الانيقة وربطة العنق .  
وتساءل : الا يعني مظهري شيئاً ؟ ..

منذ سنوات كف عن اي نشاط .. والهزيمة كانت  
قاصمة .. منذ سنوات وهو يقول : لا جدوى ، نسف  
بهذه العبارة جميع الماضي . والرفاق كفوا عن مطالبته  
بايضاح معقول لها .. وها هو يعيد النظر فيها تحت  
تأثير الموقف ويطالب نفسه بالايضاح .

– انت متهم بالاشترك معهم ..  
– يا حضرة المأمور ..  
– لا تراوغ ..

– استطيع الاثبات انني بتاريخه كنت هناك فسي  
الضيعة .. في اخر الدنيا .. حتى انني شربت القهوة  
مع مأمور الضيعة .

– لدينا ملف وافر عنك ..  
– لم يعد الماضي يعني لي شيئاً . لدي البيت  
والزوجة والاولاد .. وعملي يدر الكثير .  
– أنا اعرفكم .. خلعت اضراسي وانا اعاشركم ..  
– يا حضرة المأمور ؟  
– لا تقاطمني ..

ويلو الصراخ في غرفة اخرى :  
( – انا لا اعرف شيئاً ..

– يا ابن العاهرة .. بل تعرف . )  
– هل تسمع – قال المأمور – انهم يرفعونه فروجاً ..  
– ..  
– اتدري كيف يمكن ان يتحول انسان الى فروج ؟  
– ..  
– يرفض .. يتظاهر .. وينتهي الى قضيب حديدي  
بيسن عارضتين يتدلى منه كالفروج .

ولا يترك له المأمور مجالاً للملاحظة .. يتابع بلهجته  
ذاته المفازي :

– امر واحد يعفيك من ذلك .. ان تقول كل شيء ..  
– يا حضرة المأمور ؟  
– اقل فمك ..

ويرن الهاتف على الطاولة .. وتظهر زوجته فسي  
الباب .. يرفع المأمور السماعة :  
– آلو ..

يتفرس هو بزوجه في احراج ظاهر .  
– نعم سيدي – يقول المأمور .  
تشهق الزوجة وتشرع في البكاء .  
– نعم سيدي انه هنا – يقول المأمور .  
– لماذا فعلت ذلك؟ . تقول الزوجة وتستمر  
في البكاء .

تذكر والده :

( – ابني يا استاذ .. ابني امانة في عنقك .. اللحم  
لك والعظم آبي .. اضربه متى رأيت ذلك ضرورياً .. ) .

والمأمور ينفرج وجهه لأول مرة عن قهقهة وديعة  
متملقة :

– امرك يا بك .. سيخرج حالا ..  
وتسابق يدك يد زوجتك لتصافح المأمور .. وتخرج ..  
تخرج بريئاً مما نسب اليك ..



والجريدة امامه تتحرك بعصبية تكاد تقذف بالفنجان  
والكوب والمنفضة ..

لم يبق له غير ادمانه القراءة . ومنذ سنوات كف عن  
مناقشة ما يقرأ .. تعبر عيناه على الاسطر بخمول .  
وما عاد قلمه يرسم خطوطاً تحت الكلمات .. والذاكرة حبلية  
بصور الماضي :

( الحنجرة تكاد تبج ، تعيد الى الاذهان ذكرى وعد  
بنفور والاعتصاب .. يهدر الصوت صادقا ومدويا ..  
ينظرون اليك باعجاب وتقدير .. تندد بالعدوان الثلاثي  
ثم ترفض حلف بغداد .. تأتي باطارات المطاط تحرقها  
بنفسك وتسد الشوارع .. تشارك في الاضراب الذي دام  
اشهرا وتشارك في القتال .. ثم لا تفتقر همتك وانت  
تدعو الى الوحدة .. ) .

كل ذلك كان يحدث .. كل ذلك .. وكانوا ينظرون  
اليك باعجاب وتقدير وانت تلهب حماسهم .. ولكن رحم  
الله من كان .. فها هم اولاء يأتون ، يتواصل الصوت من  
ساحة رياض الصلح حتى يبلغ مجلسك وانت مسممر  
الى الكرسي ، لا تفعل غير ان تصغي وان تميز في الهدير  
المدوي بتواصل لفة غير لفتك ..

غير انه يستشعر قشعريرة مخدرة تهز اعطافه .  
وفي غمرة الحماس يخيل اليه انه سيقفز الى الشارع  
يفرز قدميه بين الاقدام المتباطئة المتزاحمة ويفتح فاه  
بالهتاف من اجل كفرشوبا .. ولكنه يظل في مجلسه ،  
تفتح عليه حماسه ذكرى التظاهرة من اجل عمال  
غندور .. يومها اندس وسط الحشد وظل الشعور بانه  
متقاعد يلزمه ساعة كاملة .. ادرك حينها انهم  
يتكلمون لفة غير لفته ، وان ملايين الاسطر المغروزة في  
جمجمته لا تشفع له ازاء الايدي المرفوعة بتحد . وعز  
عليه يومها .. عز عليه ان يسير خلفهم وما كان ليسير  
في الايام الخوالي الا في المقدمة .

– ولكن الامور تختلف اليوم كليا – يقول له احد  
العمال – تتزاحم المشكلات والاحداث ولا تعود تنفع الحلول  
السابقة .

اذن .. انت مطالب بأن تفتسل من اوهامك .. من

ينظر الى الاعقاب المتراكمة امامه في المنفضة . ويجد نفسه محاصرا برواد الكافتيريا وقد نجتمعوا ينفرجون على التظاهرة فيقرر الرحيل فجأة .

يطوي الجريدة .. يترك حفنة من النقود على الطاولة ويهرول فوق الدرج متعجلا استنشاق الهواء في الخارج . وحين يصل الى الرصيف تطاعه يافطة تحمل اسم كمرشوبا فيتذكر يافطة المحل : « توفوتيه ابراهيم عبدالخالق » .

اقتربت انظهد كثير من الساحة .. كان عليه ان يذهب الى بيته ليعاود الحساب .

ليقارن الرصيد بالنتيجة .. بالارباح .. بال ...  
- يا امرأة .. اسكتي هؤلاء الابالسة ..

والتظاهرة تقترب .. تملأ المكان .. وهو عليه ان يعود ...

نفت الى شارع بشاردة الخوري . وقبل ان يقرر الاتجاه فيه كان دون وعي منه يندفع وسط انتظاهرة في شارع الامير بشير يشق بمنكيهه طريقا ضيقا عكس وجهة سيرها تماما ..

بيرون

صدر حديثا :

# الانسان وقواه الخفية

تأليف كولن ولسن

ترجمة سامي خشبة

دراسة في القوة الكامنة التي يملكها

البشر للوصول الى ما وراء الحاضر

منشورات دار لآداب

حساباتك اليومية وكرشك الذي بدا يتكور مستديرا ككرة قدم ..

والحشد يتقدم : يافطات مكتوبة بلون الدم .. سواعد ترتفع .. سيارات يسرئ منها مسلحون بالكلاشينكوف والاربي جي .. امرأة حباى تدفع بطنها وتهتف .. وحزام من شرطيين مسلحين ينذر بان مكروها سيحدث .. وعلى الارصفة جموع تسير في فضول دون ان تشارك .. وانت .. انت .. ابراهيم عبد الخالق، منذ ساعات تتدمر باتجاهك .. تتقدم بعزم واصرار ..

\* \*

افنى ساعة وعلبة تبغ كاملتين وهو يحسب ويحسب - يا امرأة .. اصنعي لي فنجان قهوة آخر .

والقلم في يده يماشى حركة الفكر الموتور يكاد يفقد القدرة على التركيز .

( عليك اولاد دفع قيمة الاخلاء ثلاثين ، اربعين الفاء . ثم تتقدم بطلب ترخيص الى الوزارة ، وهذا يكلف كذا .. ثم تعلن في الصحف عن حاجتك الى مستخدمين ذوي خبرة تقرر سلفا انك ستنصفهم ، ستدفع لهم الحد الادنى للاجور .. تاتي بخطاط ليكتب توفوتيه ابراهيم عبد الخالق . هذا سيخفض من قيمة الرسم البلدي على اليافطة ، وانت على اية حال تكره الاسماء الاجنبية .. ثم .. ثم .. )  
- يا امرأة .. اصنعي لي فنجان قهوة آخر .

واعقاب السجائر تتراكم في المنفضة امامه . يقوم بحساب اجمالي ، يوازن بين النتيجة ورصيده ويقرر ان لا ندحة عن الاستدانة من المصرف .. يوازن بين حسابات اليوم وحسابات الامس وحساب الارباح . يفكر ان في الامكان التخلص من الرهن في غضون سنة ويصبح المحل ملكا له . وحين يشق الارهاق في التسرب اتى اعصابه ينتبه الى جلبة الاولاد في الفرفة الثانية .  
- يا امرأة .. اسكتي هؤلاء الابالسة .. فيسكتون .

يعاود الحساب وتبدا اصابعه في الاهتزاز مع نبضات القلب المتلاحقة . ويعاود الاولاد جلبتهم .

ينفجر فجأة .. يمزق الاوراق امامه :  
- البيت لا يطاق .

ويصفق الباب وراءه ويخرج وصدرة يزخر بحنق لا يقل عن الحنق المتفجر في الحناجر .

\* \*

الحناجر المفتوحة تتقدم باتجاهه . تتقدم بكل الاصرار المتولد عن دمار قرية بكاملها وغلاء يختزل اعمار الناس .